

قصة الخلق البابلية (Enûma Eliš)

هي قصة الخلق البابلية. يأتي اسمها إنوما إيليش (Enûma Eliš) من أول كلمتين فيها. اكتشفها هنري لايارد في ١٨٤٩ في آثار مكتبة آشوربانيبال في نينوى شمال العراق

تتألف من ألف سطر تقريبا على سبعة ألواح فخارية باللغة البابلية القديمة. في كل لوح ١١٥ إلى ١٧٠ سطرا. النص كامل تقريبا عدا اللوح الخامس لكن اكتشفت نسخة عنه في تركيا.

تعتبر قصة الخلق البابلية أحد أهم المصادر لفهم نظرة البابليين للعالم وتظهر أهمية الاله مردوك وخلق البشرية من أجل خدمة الآلهة. لكن هدفها الرئيسي الأصلي ليس دينيا بل لتمجيد إله بابل الرئيسي مردوك على غيره من آلهة بلاد الرافدين.

هناك عدة نسخ للملحمة في بابل وآشور. تعود نسخة مكتبة آشوربانيبال إلى القرن السابع قبل الميلاد لكن القصة تعود على الأرجح إلى القرن الثامن عشر قبل الميلاد عندما كان الاله مردوك في أوج مكانته، مع أن بعض الباحثين يرجحون أنها تعود لما بين القرن الرابع عشر إلى الثاني عشر ق م ، تحكي القصة بوجود الإلهين أبزو و تيامات ممتزجين ببعض ومن دون أن يتواجد أي إله معهم. تمازج أبزو وتيامات أنتج الإلهة لخمو و لхамو و ثم أولدوا كل من أنشار و كيشار. وأنشار أولد الإله أنو وأنو أولد الإله نوديمود (والذي عرف أيضاً بإسم إيا).

الآلهة الجديدة أزعت تيامات وأبزو لم يستطع أن يهدئها. أبزو نادى مومو كي يأتي ويهدأ تيامات، فإقترح تدمير هذه الآلهة الجديدة، لكن تيامات لم تقبل بتدمير ما قاموا بخلقه. مومو إقترح على أبزو أن يقوم بتدميرهم فوافق وإحتضن مومو. الآلهة الجديدة عرفت بخطة أبزو ومومو فخافت. إيا جعل أبزو ينام. عندما جاء مومو ليوفظ أبزو لم يستطع، إيا أخذ الهالة المقدسة لأبزو ولبسها، وأخذ أبزو وقيده مومو. أخذ أبزو إلى قصر إيا هو وزوجته دامكينا. ومن خلال قلب أبزو خلق إيا ودامكينا مردوخ. مردوخ خلف إيا برئاسة الآلهة، إيا ناداه إبنى الشمس. في حين خلق أنو ٤ رياح.

بقية الآلهة ذهبوا إلى تيامات وأخبروها أن قرينها أبزو ذبح وأنت لم تفعلي شئ. واشتكوا من الرياح التي تزعجهم. تيامات فكرت في خلق وحوش لتحارب الآلهة. فخلقت ١١ وحش وزودتهم بالأسلحة، وجعلت من الإله كينغو قائدهم وزوجها الجديد. لوح الأقدار يجعل من كينغو غير قابل على الهزيمة.

ملخص الاسطورة :

لما كان يتمرد ايراد ترجمة كاملة للاسطورة في هذه الدراسة التمهيديّة العامة عن أدب العراق القديم ، ولاننا سنوالى تقديم دراسات أخرى تتضمن ترجمات كاملة لاشهر النصوص الادبية ، كما فعلنا في ملحمة جلجامش ، فانا سنقتصر فيما يلي على ترجمة اجزاء مختارة وعرض الاجزاء الاخرى تلخيصاً^(١) :

« حينما في العُلَى لم ينبأ عن السماء (لم تُسمَّ باسم)
« وفي الدنى (الاسفل) لم تذكر الارض باسم
« وحين كانت مياه « أبسو » ، الموجود الاول ، والدهم
« والام « تيامة » ، والدة جميعهم ، واحدة مختلطة
« ولم يكن قد وجد اى مرعى ولا يرى اى شيء حتى هور قصب
« حينما لم يظهر الى الوجود أي من الآلهة
« ولم تذكر اسمائهم ، ولا خصصت وظائفهم واقدارهم
« ثم وجد الآلهة في وسطهما (وسط أبسو وتيامة) (*) :
« جاء الى الوجود « لخمو » و « لخامو » ، ودعيا باسميهما
« وقبل ان يبلغا أشدهما ويطولا قامة
« جاء الى الوجود « انشار » و « كيشار » ، وفاهما بسطة في الجسم
« ثم تعاقبت السنون وتلتها الايام
« فجاء الى الوجود « آنو » بكرهم ووريشهم ومنافسهم
« أجل صار « آنو » بكر « أنشار » ، يضارع اياه
« ثم ولد « آنو » « نودمُد » (ايا) ، شبيهه
« صار « نودمُد » سيد آبائه
« كان واسع الفهم ، شديد الحول والقوة
« أجل ، اصبح أشد حولا من جده « أنشار »
« ولم يكن له مثل بين اخوته الآلهة
« كان الاخوة الأقداس يتجمعون معا
« ويقلقون « تيامة » ، ويهاجمون حاميهم « أبسو »
« اجل ، صاروا يعكرون بطن « تيامة » ، وهم في حركة وصخب
في المسكن المقدس

« لم يستطع « أبسو » ان يقلل من ضجيجهم وصخبهم
« اما « تيامة » فانها سكنت ولم تضع حدا لصنيعهم
« مع ان اعمالهم كانت مؤلمة ، وصنيعهم شائنا
« وعندئذ استدعى « أبسو » ، ابو الالهة ، وزيره « ممو » وقال له :
« يا « ممو » ، يا وزيرى المطيب كبدي ، هلم نذهب الى « تيامة »
« فذهبا الى « تيامة » ، وقعدا قدامها ، وتشاوروا في أمر ابناهما الالهة
« فتح « أبسو » فاه وقال « لتيامة » بصوت عال :
« لقد امرضتني (ثقلت علي) أعمالهم
« فلا استطيع الراحة في النهار ولا النوم في المساء
« لانضين عليهم واضع حدا لاعمالهم
« لكي يعم السكون فنستطيع النوم »
« ولما ان سمعت « تيامة » ذلك غضبت وصرخت بزوجها :
« أدركت في قلبها ما بيت « أبسو » من شر وخاطبته :

« علام ندمر ما اوجدنا بانفسنا

« حقا ان سنيعهم بسبب الالم والمرض

« ولكن لنصبر على ذلك وتحمله عن طيب خاطر » (*).

يد ان « ايسو » ، وقد ساندته وزيره « ممو » ، لم يثن عن عزمه

في القضاء على ابناءه من جيل الآلهة الحديثة . ولما علم هؤلاء بما يبيته

لهم أبوهم من شر ودمار ، اضطربوا وجزعوا ، وصاروا يتحركون على

غير هدى ، ثم هدأوا أخيرا واستكانوا وجلسوا صامتين يائسين لا يدرون

ما يفعلون للنجاة من الهلاك المحقق بهم . واخيرا انبرى من بينهم الاله

« ايا » ، المتبحر في المعرفة والحكمة ، فخط دائرة سحرية حول اخوته

الالهة ليحميهم من الهجوم والفتك . وألف تعويذة سحرية قوية التأثير

تلاها على « ايسو » فحل به سبات عميق وشل عن الحركة ، فانتزع منه

« ايا » تاج الالهية وجلالها ومجدها ، ثم قتله وسجن وزيره « ممو »

وابتلى في ال « ايسو » بيتا له وسكن فيه هو وزوجه « دام - كينا » ، وفي

حجرة « الاقدار والمصائر » ولد ابنتهما « مردوخ » وربى على الرضاعة من

ائداء الآلهات . وسرعان ما شب واكتسب « جلال » الالهية المخيفا

الصاعق ، وصار ثاقب النظر براق العينين حديدهما ، هائل الاعضاء

والجوارح ، لا يمكن النظر اليه ويصر على البشر ادراكه . له اربع

عيون واربع اذان ، وحين تتحرك شفاه ينبعث منها اللهب . واستطالت

آذانه واتسعت عيونه الاربع ، فصار يرى كل شيء . اكتسى بنور الالهية

واكتسب الجلال الذي يبعث الرعب .

اما تيامة فانها لم تنس مقتل زوجها « ايسو » ، وحرصها على الثأر

له الآلهة العتيقة ، يتزعمهم « ككو » ، واستجابت تيامة للتحريض وعبأت

جموعها ، وأعلت من منزلة « كنگو » ، وجعلته زوجها وولدت مخلوقات مخيفة من الافاعي والتنانين الهائلة ، وعهدت الى « كنگو » قيادة جموعها وزودته بالواح المصائر والاقدار . ولم يفتن الآلهة الحديثة الى ما بيته لهم امهم تيامة من شر وهلاك الا حين اوشكت على الهجوم . ولما أدرك الآله « ايا » الهلاك المحقق باخوته من جيل الآلهة الحديثة تملكه اليأس والرعب ، ولما ان زال اضطرابه قصد جده « أنشار » وابلغه ما عزم عليه « تيامة » ، فحرض « أنشار » حفيده « ايا » على ان يتصدى لقتالها ، ولكن البطل « ايا » الذي قضى على « أبسو » ، جبن وإحجم عن التقدم . ثم طلب « أنشار » الى الآلهة « آنو » ان يكون رسول مصالحة وسلام الى « تيامة » ، فذهب اليها وعرض عليها الصلح ، ولكن لم تنجح محاولته السلمية فرجع خائفا مضطربا . وعندئذ عم الخوف والوجوم جميع الآلهة ، وعقد الصمت لسان « أنشار » وجلس معه الآلهة وهم خائفون صامتون .